"حنة ارندت تتحدى عصرها بفكرها السياسي"

أ.م.د.سالي محسن لطيف

الجامعة المستنصرية / كلية الاداب / قسم الفلسفة

تعتبر حنة ارندت مفكرة سياسية وباحثة يهودية الاصل المانية (النشوء)يصفها الكثير بالفيلسوفة لكنها ترفض هذه الصفة على اساس ان الفلسفة يتناولها (الانسان في صيغة المفرد) ،وصفت نفسها (بالمنظرة السياسية)لان عملها يركز على كون البشر لا الانسان الفرد يعيشون على الارض ويسكنون العالم.

ولدت ارندت في عام(١٩٠٦) من عائلة علمانية من يهود المانيا في مدينة (ليندن)ونشات في(كونيبرج)و(برلين)،وتعتبر محطات سيرتها الذاتية تجسيدا لاهم احداث وخصائص هذا القرن.توفي والدها وجدها القريب من نفسها أكثر من أي فرد اخر وهي في سن السابعة من عمرها،كانت أمها شخصية تقدمية لاحظت الاستقلال الفكري المميز لابنتها ومزاجها الانطوائي الثوري المتحمس العقلاني الذي كان وراء طردها من الثانوية في(برلين) أثناء مناقشتها للاستاذ حول موضوع وجود الله ومع ذلك حصلت على شهادة الباكلوريا ثم سجلت عام(١٩٢٤)في قسم (البيولوجيا والفلسفة) بجامعة (هامبورغ)والتقت هنالك باستاذ شاب ذا خبرة علمية رصينه اسمه(هيدجر) فاعجبت بشخصيته وبافكاره واقامت معه علاقة متينة،واعجبت كذلك بفلسفة كل من(ياسبرزوكيركجاردونيتشه).

أهتمت حنه بالديانة اليهودية والصهيونية وألتقت بمفكرين سياسين يهود ينتقدون أتجاهات مماثلة ويدعمون معارضين شيوعين ينتمون الى الحزب النازي.

وفي عام (١٩٣٣)أنصرفت الى عملها الساسي بشكل عملي وأعتقلت في هذا العام وكانت هذه الحادثة ذات أثر كبير على نفسها ومع ذلك أستطاعت ان تنجو من هذا الاعتقال وهربت الى(باريس)ومن ثم الى(نيويورك)حيث عملت كصحفية ومراجعة لغوية ومحاضرة جامعية ،وبدأت عملها السياسي الحقيقي وسعت الى استكشاف الانظمة الشمولية من خلال وضع شكلين للانظمة هما الاكثر بروزا(النازية الالمانية والستالينية الروسية)تحت المجهر في كتابها الشهير(أصول الشمولية) ادراكا منها خطورة هذه الانظمة ،وتدعوا الباحثين السياسيين الى مراجعة هذه النظم لادوات التحليل العلمي(جبروت الحدث يتفوق على المفهوم)،حيث رأت (أرندت)ان السمة الشمولية تظهر واضحة في هدف هذه الانظمة الذي لايقتصر على الاستيلاء وعلى

السلطة فقط،بل يمتد ويشمل كل المجتمع ويجسد التماثل الكامل بين الحزب الحاكم والدولة.

وبعدها وضعت طاقتها لخدمة المنظمات اليهودية العاملة في (نيويورك)والتي اخذت على عاتقها حماية اليهود في أوربا وأنشاء وطن لها في (فلسطين)،لكنها انفصلت عن هذه المنظمات بسبب خلاف حدث داخل الحركة الصهيونية حول التحالفات التي عقدت وسميت ب(السياسة الواقعية)،وقفت ارنت بجانب (السياسة الواقعية)لانها تنحصر في سياسة التحالف مع الشعوب المتوسطة الاخرى والتي تعزز الوضع المحلي اليهودي في فلسطين والتي تؤمن بتعاطفها مع الجيران ،ورأت انأحد مصادر الحمى الصهيوني الخاص بما تسميه (المسألة العربية)الذي يكمن في الاتجاه نحو الواقعية السياسية،أي الاندراج في لعبة القوى العظمى ،وبهذا لاتكون السياسة سوى سياسة تلغي معناها بسبب تقريبها ممن يمتلك قوة أكثر،وذهبت الى ضرورة الاتفاق على بعضالمطالب الرئيسيةومنها:ان حق الشعب اليهودي في فلسطين مماثل لحق كل انسان "سواء أكان يهوديا أم عربيا"،وتأكد هذا الانسلاخ عندما وجدت ارنت الدولة اليهودية تغرق في مستنقع "السياسة الواقعية" .

لقد تولت ارنت مناصب عدة،فقد عملت مديرة للبحوث في مؤتمر العلاقات اليهودية وكذلك رئيسة تحرير لكتب(شوجن)،ومديرة تنفيذية لمنظمة اعادة بناء الثقافة اليهودية في مدينة (نيويورك)،واستاذ زائر في عدد من الجامعات من ضمنها(كاليفورنيا)و(شيكاغو)واستاذة جامعية في كلية الخرجين في المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي،وقد حصلت على زمالة (غوغنهايم)في عام(١٩٥٢)وفازت بالمنحة السنوية للاداب والفنون في عام(١٩٥٤)من المعهد القومي للفنون والاداب.

منعت من قبل النازية من كتابة أطروحة الدكتوراه ،وذلك بحجة كونها مؤمنة بعقيدة سامية عبرية(يهودية)،من أهم كتبها"أصل التوتاليتارية"أي أصل المذهب الشمولي وكتاب"أزماتالجمهورية"و"رجال في عصور مظلمة"و"العنف"و"القوة"و"الثورة"و"ايخمان في القدس"و"حياة الروح"وغيرها .

وفي هذا الكتاب الاخير"حياةالروح"كرست اعتقادها في عودة الى فكر غير راهن الى الفلسفة الخالصة وهو فكر الحداثة المعاصرة.

والحادثة المفارقة في حياة أرنت ،انها كلفت من خلال جريدة نيويورك التي كانت تعمل بها بكتابة تقرير عن حادثة محاكمة "أيخمان"وصدرتكتاب"أيخمان في القدس"،وكان أيخمان هو المسؤولعن ترحيل وأعدام اليهود في ألمانيا النازية ،وكان العنوان الفرعي "تقرير عن عادية الشر"،جلب لها النقد والهجوم والحملات

الصهيونية .فهي لم ترى أيخمان تجسيدا للشر بل ادركت ان الكارثة تكمن في قدرة النظم الشمولية على تحويل البشر الى محض "منفذين"في الالة الادارية أي تجريدهم من انسانيتهم.أعتبرت ارنت ان المحاكمة محاولة من الدولة الاسرائيلية ترسيخ دعائمها عبر محاكمة رأت فيها بداية لاستخدام (الهولوكوست):وهي كلمة يونانية تستعمل في الاضطهاد والقتل المنظم البيرقراطي برعاية الدولة وهي(الابادة الكاملة)ومعناها(التضحية بالنار)عام(١٩٣٣)على يد النازيين عندما أحرقوا ما يقارب(٦ملايين).كما أكتشفت أرنت دور المجالس اليهودية في التعاون والعمالة مع النظام النازي بما أثار الشك في الادعاء الصهيوني لكون اليهود"ضحايادائميين".

ومن أهم الاراء السياسية التي تبنتها ارنت هي:ان السياسة بمثابة الفضاء الكلي للانسانية،انها ليست الا فضاء يختلف عن فضاء العلم أو التامل.فضاء يدعوا الى أكتشاف فكرة العالم الانساني ان تصنع منها منبعا لكل قيمة انسانية .لذا كان التنوع المطلق لكل شخص الواحد قياسا الى الثاني أكثر أهمية من التعددية النسبية للشعوب والاوطان أو الاجناس أنها مؤسسه للانسانية يتجلى التعدد الانساني من خلال قدرته على التفاعل والتكلم بكيفيات متفردة ومتعددة في الوقت ذاته،وهذا ما تسميه ارنت ب(توالد الافراد)،وهي خصوصية بيولوجية جعلت ارنت من هذا التعددهدف للسياسة ثم شرط للحرية.

لقد تساءلت ارنت في كتابها(السياسة)ماذا بوسع الفكر صنعه امام الشر والمعاناة اللذين يواجهما البشر؟كيف نؤسس الحب في هذا العالم؟

ولقد لاحظت ان اخفاق الفكر في ظل كل التقليد الفلسفي على مستوى تحديد ماهية السياسة او الشر هذين الشيئين ليس لهما جوهرا تأخذ السياسة حيز ولادتها وسط المعاناة التي تقوم بين البشر.انها خارجة عن البشر لا تبنى على ماهية انسانية .

وترى ارنت في القوة جزء هام من العالم الاجتماعي وغالبا مايتم اهمال مهامها في تشغيل الحياة الاجتماعية وادائها لوظائفها وترى ان كل المؤسسات السياسية هي تجليات وتجسدات مادية للقوة ،والقوة تعبر عن العمل الاتصالي فهي ليست قدرة البشر على ان يعملوا معا فقط،ولكن ان يعملوا بطريقة متسقة فالقوة معناها تصور رضائي أو طوعي يعتمد على أتفاقجماعة من الفاعلين الاجتماعيين على كيفية تنظيم ووضعقواعد لممارستهم الحياتية المتعددة فالقوة عند ارنت ضرورية لتحقيق التنسيق بين الافراد لاداء هدف اجتماعي متفق عليه.

وتعتقد ان السلطة والعنف يتعارضان فحين يحكم احدهما حكما مطلقا يكون الاخر غائبا ويظهر العنف عندما تكون السلطة مهددة.وترى في الارهاب اداة تستخدم

لقيادة الجماهير ،لكن هذا يعني تأهيل مناخ الحرب الاهلية،وتكون ضحاياها أشخاص ابرياء ويصبح الارهاب قانون الحركة اذ يقضي هدفه الى جعل قوة الطبيعة او التاريخ تنحصر على الجنس البشري(قانون الحركة فوق البشرية)،ويسود منطق العبث على منطق العقل السليم حيث يحل الواقع المزيف مكان الواقع القائم فعليا.

بهذه الافكار الساسية تحدت ارنت عصرها ،فقد وصفتها احدى صديقاتها وهي(هانس جوناس)بانها ابحرت عبر التاريخ على متن (مركب القرن العشرين) لانها كانت تمثل مسار حياتها في كونها أمرأة حددت لنفسها أختيارا تجسد في التفكير وصياغة موقفها بحرية يحكمها هاجس صميمي على ان"تصيرذاتها"لذلك أصرت على أنها فتاة ذا شخصية حرة لاتتكسر او حسب قولها"أنا غير قابلة للضبط".

لكنني اتسال اذا كان هذا هو تحدي حنة ارنت السياسي،كم حنة ارنت يوجد لدينا في العراق وفي عالمنا العربي المنكوب وبمختلف التحديات ليس التحدي السياسي فقط؟؟.

المصادر:

١-الموسوعة الحرة.

٢-حنه ارنت فيلسوفة الحب والحق،علي حرب،صحيفة ذوات،صحيفة ثقافية فكرية تصدر عن مؤسسة بلا حدود للدراسات والابحاث،٢٠١٤.

٣-حنة ارنت،ما السياسة ،ترجمة زهير الخويلي ،منشورات ضفاف.

٤-حنه ارنت،فيالعنف،ترجمة ابراهيم العريس،المركز العربي الحديث.